

# فعالية اللغة العربية

## لأستاذ عَدَلِ الفاسي

الامة وعنوان وجودها ، وأن كل امة لا يمكن أن تتحقق من ذاتيتها الا في لسانها القومي المعبر عن تفكيرها التلقائي ، ولقد صدق «جوستاف لوبيون» حينما قال : (إذا استعبدت امة ففي يدها مفتاح سجنها ما احتفظ بلغتها) . وانني لا رجو أن يتحدد رجالنا على خدمة اللغة العربية وتمهيد الطرق لنومها وتطورها ، حتى يضمنوا للمغرب وللإسلام فيه ، حياة عربية موحدة ، تستكمل ما بدأه أجدادنا من غرس ناجع للعروبة في هذه الأرض الجيبة ، وبذلك تكمل وحدتنا اللغوية ، التي هي ضرورة لنا ولوحدة العالم العربي كله .

### مشاكل العربية في المغرب وطريقة علاجها

قلت ان مشكلة العربية في بلادنا مزمنة ، واعنى بذلك ان التعرّب الذي بدأ أجدادنا لم يتم في هذا الوطن ، فما يزال قسم من جبال المغرب لا يتكلّم العربية ولا يتقن الكلام بها ، وهذا على العكس مما انتهى اليه الامر في كل من تونس ولibia والبلاد المغاربة ، وليس معنى هذا انى ادعى لمحو كل لهجة وطنية ، فذلك ما ليس ضروريًا ، وانما اعني انتشار اللغة الوطنية اصلاحها عن المجهود المبذول في سبيل تحقيق التعرّب على أساس أنها لغة الاتصال بين مختلف ذوي اللهجات وتسهيل طرقه . وتقبل ذلك احب ان اؤكده – وان كان المحلي . وليس من المقول ان يظل المواطنون في جهة اى موضوع غير محتاج الى تأكيد – ان اللغة هي حياء ما ، بحاجة الى من يخاطبهم بلغة غير لغة الدولة وأدمني

قضية العربية في المغرب قضية مزمنة والحق يقال ، فهي ليست بذلت اليوم ولا ناشئة فقط عن أثر الاستعمار في وطني ، ولكنها في اصلها ناشئة عن تقصير أجدادنا العرب في اكمال مهمة التعرّب في المغرب من جهة ، وعن الركود الذي أصاب المغرب وسائر العالم الإسلامي من جهة أخرى . وقد وجد الاستعمار في هذين المظاهرتين لتخلّفنا اللغوي والاجتماعي وسيلة حاول أن يستغلّها ليجهز على وجودنا كامة متعددة بل على وجودنا ككائن حي ويجعل منا امتداداً لوجوده بما يكونه من عناصر اللغة والفكر الذي هو محتراماً .

وحيثما حلّ عهد الاستقلال شعر المخلصون من أبناء الوطن بضرورة العمل على تقوية الكيان الوطني ، وتدعمي الوجود الذاتي للمرء ، وكان أول ما فكروا فيه مسألة اللغة التي برزت في شكل الحاجة الى المغارة والتعريب .

وطبعاً فان كل عمل صالح لا يعدّ صعبات من نفسه والمعارضين من ذوى المصالح أو المستفيدین من الوضع الذي خلفه الاستعمار ، وهكذا فشل القائمون على العمل ، بينما أخذت الجهود المغربية جوانب متوازية لتحقيق الهدف المنشود .

وسأتحدث في غضون عرض المشكلة اللغوية وطرق والدينية والإدارية والتجارية في جميع أوساط البلاد اصلاحها عن المجهود المبذول في سبيل تحقيق التعرّب على أساس أنها لغة الاتصال بين مختلف ذوي اللهجات وتسهيل طرقه . وتقبل ذلك احب ان اؤكده – وان كان المحلي . وليس من المقول ان يظل المواطنون في جهة

ويمزح عن عامة الشعب ، الامر الذي ادى الى خلق ازدواج لغوى بين لغة الكتابة ولغة الحديث ، عرفنااحقيقة الا زمان الذى اشرت اليه فى مرضنا اللغوى ، وعرفناا كيف يجب ان نواجه الشكى على حقيقته لاصلاحه .

تم هاجم الاستعمار التركى سائر بلاد العرب ما عدا المغرب ، فاضعفت ذلك العربية فى مراكز ازدهارها فى بغداد والقاهرة ودمشق ، فى الوقت الذى افل فيه نبع الاسلام والعربية فى الاندلس ، وبقى المقرب لنفسه يقاوم تيار العجمة الذى يهاجمه من الداخل ومن الخارج ، ومن الحق أنه قد انتصر عليه أو أوقفه على الاقل فى أضيق حدوده ، ولكن له لم يستطع أن يقوم بالمهمة على الرجل الذى كان من الممكن أن يقوم بهما لو استمرت الاندلس فى تقدمها ومراكيز الشرق العربى فى تفتحها ، ومع ذلك فان صناعة الانشاء انحصرت فى المغرب فى القرن الماضى حسبما شهد بذلك بسيم التونسي الرحالة الذى جاب الآفاق ودرس المجتمعات العربية المختلفة .

وكانت لنكبة الاندلس آثارها المسترسلة على بلادنا فان الاسپانيين لم يقتربوا على حدود الاندلس الطبيعية ولكنهم تطلعوا الى التغلغل فـن بلادنا حيث بدأوا يقونون من أطراف أرضنا ، وهكذا نزلوا الى سبتة والى مليلية والى مراكز فى الريف وفي الصحراء المغربية . حيث أصبحت العربية فى هذا الوسط المغربي مجرد لهجة عائشة فى احياء عمالية مستعبدة .

ثم هجم الاستعمار الفرنسي على وطننا فيما هجّم عليه من بلاد العرب ، ووجد نقط الصعف السابقة فحاول الاستفادة منها للقضاء على العربية وفرنسة البلاد .

ان الاستعمار اللغوى والثقافى ، طابع بارز فى أساليب الاستعمار الغربى الحديثة اتبعها فى كل الاوطان التى نكبت به ، وقد حاول المستعمرون دائماً ان يجعلوا من شعوب المستعمرات أمماً وأفراداً على صورة المستعمر وغراوه ، فكانت لغة الفاتح هي المستعملة وحدها او مع اللهجات المحلية فى كل مرافق الدولة وفي التعليم وفي المعابد احياناً ، وفي السياسة والتجارة بالآخر ، وكان ابراز الاختلاف بين الطوائف المتساكنة فى وطن ما ومحاولة تدخل المستعمر للربط

من ذلك أن تحتاج أحيانا الى أن نوجه اليهم الكلام بلغة من لغات المستعمرى الذين استعبدوا بلادنا وأرادوا أن تكون لغتهم هي لغة الربط بين مختلف المناسرين القرمية .

اننى أوجه قبل كل شيء اللوم على أجدادنا من رجال العرب الذين حملوا رسالة الاسلام والعربى لهذا الوطن ، فانهم عوضاً عن أن ينكروا على العمل لاكمال مهمتهم التاريخية المقدسة ، شغلوا أنفسهم بالتطاون على الفنادق وعلى مقاعد الحكم ، وخلقوا فى وطننا مشاكل اجتماعية لا يمكننا أن نتجاهل مصدرها اذا كنا نريد أن نبعث عن الداء ، وتلبيس له الدواء .

لقد وصل آباءاؤنا الى المغرب ليؤدوا رسالة الاسلام كامنة ولكنهم سرعان ما اتصلوا بالجبال المغاربية ، فأخذ الحاكمون منهم يتلقون الجميسور وينذلون أقصى الجهود لرضاهم فـن سبيل الاستعارة به على خصومهم السياسيين - واشتغلوا بالاشراف وذرية الصالحين منهم بتكون ارستقراطية خاصة لا تعنى بغیر الاستغلال للشعب والاستفادة منه باسم الصلاح الموروث والسلالة المقدسة : وهكذا لم يواصل الابناء ما عمل له الآباء من نشر للدين وللغة القرآن في هذه الرابعة ، ولو لا طائفة من رجال العلم الذين وفوا للميراث النبوى الذى ورثوه . ولو لا هذه المعاهد والزوايا التي كان يؤسسها أولئك المخلصون ، ولو لا الجهود التي بذلتها الدولتان البربريتان المرياطية والمحمدية في خدمة العربية ، لكن الامر اخطر ما هو عليه الآن ، ولدخلت العربية في خبن كان في المغرب .

وقد زاد في الطين بلة ، الاضطراب الذى صاحب المغرب في تاريخه كله والذى انتهى الى تباعد الاتصال الفردى بين مختلف الاقاليم المغاربية ثم انعزاز بعض المجال الذى وان احتفظت بارتباطها السياسي بالدولة فقد عاشت اجيالاً حياة خاصة بها تتطور في دائرة العزلة وتنسى ما عرفته من العربية التي لا يبقى لها وجود في غير المسجد والكتاب القرآني وعلى السنة بعض الفقهاء ، (وبعض المشاركين) .

فإذا أضفنا إلى هذا وذلك ، تلك العلة التي صاحبت الثقافة العربية في كل انحاء العالم ، وهي أنها تطورت في دائرة ضيقة من العلماء واللغويين والمفكرين .

المجدة في كثير من المناسبات ، اذكر منها مثلاً المحاضرة التي أقيمتها بنادي الأمل في التدار البيضا ، منذ بضعة أعوام .

على أن المستعمر لم يقف عمله لهدم العربية عند فرنسة التعليم والإدارة ووسائل النشاط العام ، ولا عند الدعايات المختلفة والتي تلبس لكل ساعة لباسها ولكنها تجاوز ذلك إلى محاولته الاجرامية لخلق مجتمع بعيد عن العربية وعن الاسلام . وذلك حينما وضع خطوط السياسة البربرية التي تبلورت في الظهير البري المؤرخ بـ 16 ماي 1930 والقرارات والمشورات التي أعقبت تنفيذه .

ولقد شرحت في رسالة خاصة مطبوعة بمصر ، عناصر السياسة البربرية وبظاهر تطبيقها ، وتلخص في نقط ثلاث :

#### ١ - مقاومة الاسلام وتمسيح البربر .

٢ - مقاومة الشريعة الاسلامية عن طريق احياء الاعراف المحلية والاتجاه نحو القانون الفرنسي والمحاكم الفرنسية .

٣ - مقاومة اللغة العربية ، والعينولة دون البربر وتعلمنها والكلام بها .

فاما ما يرجع للنقطة الاولى ، فقد تجلت في تشجيع النخبة على عمليات بشيئي الذي كانت تقوم به توجيهه الاستقافية العامة في الرباط وتتجدد خبرتها مفصلاً في مجموعة مجلة المغرب الكاثوليكي التي كانت تصدر في العاصمة ، وفي محاولة الزام الشباب البربر بالاتصال بالرهان وليس القبعة وغير ذلك من المظاهر الصبيانية التي كان يدفع إليها حنم الاب فوكو التجبر . ومن أعظم مظاهره - وهو الذي يهمنا هنا - منع السلطة للعلماء وشيوخ الطرق المخلصين من القاء الدروس الدينية في المساجد وفي القبائل التي تدخل في إطار الطهير البربرى ومن التجول فيها والاتصال بأفرادها وأقال العديد من المساجد والكتاتيب القرآنية وتشريد أئمتها والمشارطين فيها .

وأما مقاومة الشريعة فتتجلى طبعاً في انتقام المحاكم الشرعية واحلال المحاكم العرفية محلها ، منع وضع هذه المحاكم تحت اشراف الحكم الفرنسي الذي يقوم بوظيفة وكيل الدولة والترجمان الذي يقوم بوظيفة

فيما بينها بحكمه وسياسته ولقته ، من الوسائل الفعالة في السيطرة على الشعب والهيمنة على مصيرها .

وبهذه الروح بدأ المستعمرون الفرنسيون والاسبانيون عملهم في المغرب . فكانت الفرنسية والاسبانية لغة التعليم الاساسية في كل المدارس التي تخرج الموظفين والمساعدين للدولة .

وكانت الادارات الحاكمة كلها لا تتكلّم الا الفرنسية وهي العالم الذي يجد فيه العربي الحاجة إلى ترجمان حسب تعبير الشاعر العربي .

ولن ننسى أبداً أنتانا كنا ناضطر دائماً إلى التقدم للترجمان الغر الذي يجلس على الطاولة في مباحث ادارة البريد ليكتب لنا عنوان رسائلنا الى اخواننا داخل المغرب أو خارجه بالمرور اللاتينية مقابل بعض الفنوس التي تعطيها له والتي سماها بعض الظرفاء آنذاك بضربيّة الجهل باللغة الأجنبية .

وكان المستعمرون الى جانب ذلك يبشون في أذهان النخبة من رجالنا وطلبتنا ان الفرنسية مثلاً ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها ، لأن العربية لا تتناسب لدراسة العلوم وللتعبير عن الافكار ، وليس لها ما للفرنسية من البرونة ومن القدرة على الاداء ، ولكنها ما قيل هنا الكلام وذكر ، ولكنها ما حيل بين المثقفين من اخواننا وبين لغتهم الأصلية ، ولكنها ما فسر لهم الجهل الذي يشعرون به بالعربية بنقص في اللغة نفسها ، اصبحت نة من النخبة المغربية التي تحمل شهادات عليا . تومن بذلك الأغلبية المندسة ، حتى كتب الشرايبين في كتاب له بالفرنسية ان العربية لا يمكن أن تكون لغة المخاطبة للمغاربة ، لأنهم لا يفهمون العالمية الأخرى الفصحى التي تضيق عن التعبير عن الافكار والمقاصد ، وهذا ما جعل قسمًا من المعلميين يناقشوننا في أيام دعوتنا الأولى للتعريب بعد الاستقلال ، بعجز العربية عن اداء المهمة التي تقوم بها الفرنسية .

وقد زاد المستعمرون بعد الاستقلال دعاية أخرى ، وهي تخويف المعلميين المغاربة الذين يعلمون الفرنسية في المدارس المغربية من ضياع مستقبلهم فيما لو أصبحت العربية لغة التعليم في جميع مواد الدراسة المغربية ، وهو وإن كان تخويفاً في غير محله ، فإنه قد أثر في بعض اخواننا الذين لم يتأنروا عن مجادلتنا بهذه

لا يحيى بهذه المناسبة اولئك الاخوان حواريي المعروبة الاولين من طيبة معهد آزرو ، الذين عملوا هنا على مقاومة كيد المستعمر والمحافظة للبلاد على وحدتها وكيانها .

وكم أجدني سعيداً ومملاً بالعزوة والتغفرة ، كلما زرت مدينة آزرو واجتمعت الى طيبة ثانويتها فوجدهم جميعاً يتحدون بالفصحي ويناقشون بها في كل الموضوعات التي تهم بلادنا ، وقلت : هذه الدراسة التي أرادها الفرنسيون تكون رمز نجاح سياستهم المفرقة أصبحت بفضل شهامة اخواننا الامازigh رمز وحدة البلاد وتعلقها كلها بالعربية وبالاسلام .

لتصور - لا قدر الله - ان المستعمرين نجحوا في تنفيذ خططهم الجهنمية ضد المعروبة والدين الحمدى وتصوروا أن هذا البرنامج كان يحتوى في جملة ما يحتوى عليه ، على توسيع منطقة هذه السياسة حتى تشمل المغرب كله ، وذلك عن طريق اصدار قرارات وزارة متواصلة تدخل في كل مناسبة الاقليم الفلازى أو القبيلة الفلانية في عدد الاقاليم او القبائل ذات العرف البربرى . لتصور ذلك كله ، ولنحمد الله على أننا قد نجحنا في مقاومة مجدهما ، ولنستبشر خيراً بمستقبل العربية في بلادنا ان شاء الله .

### الميراث الاستعماري

لقد حصلنا على الاستقلال لهذا الجزء المهم من وطننا ، ولكننا ورثنا عن الاستعمار في هذا الميدان مخلفات لا تقل أهمية عن المخلفات الخطيرة التي تكافحها وتتكاد تقضى عليها .

فهناك المناطق غير المحررة ، ومن جملتها فيما يهمنا الآن سبتة ومليلة والجزء الجعفرية ووادي الذهب . وقد وقعت البيينة اللغوية من طرف المستعمرين على هذه الجهات ، ولا يمكن ردما لخطيرة المعروبة قبل أن تعود إلى حظيرة الوطن ، ولكن الحق يقال ، كان من الممكن للدولة أن تبذل جهوداً لنشر الثقافة العربية الإسلامية لمواطينها في هذه المناطق ، عن طريق فتح مدارس ومعاهد مغربية بها ، ولو على أساس التبادل الثقافي الذي تنظمه اتفاقيات بيننا وبين الإسبان ، وكذلك تشجيع مجموعة من ابناء هذه المناطق المغربية المستعبدة على اتمام دروسهم في أحلى المعاهد أو الجامعات المغربية في القسم المحرر من وطننا .

كاتب الضبط واستعمال الفرنسيمةوحدها وهي اللهجة المحلية في كل اشغال المجلس العرفي ، وكتابة العقود في الزواج والطلاق والميراث وغيره بغير العربية .

أما البرنامج المتبع في محاربة العربية في القبائل العرقية . فهو محو العربية من برنامج التعليم مطلقاً وتكوين المدرسة البربرية الفرنسيمة في جميع سلسلتها الابتدائية والثانوية ، وعدم استعمال العربية في أي اتصال مع البربر ، ومقاومة العطارين والتجزئين ليلاً ينقلوا العربية إلى الجبال ، ومراقبة الناس في الشوارع وفي كل مكان حتى لا يتكلموا العربية مع أخذهم بالعقاب اذا فعلوا ، ووضع النحو والمعاجم تنبيجات المحلية وكتابتها بالمحروف اللاتينية ، إلى غير ذلك من التدابير التي اتخذها المستعمرون للتفرق بين مواطنينا عن طريق محو الاسلام والقضاء على العربية .

ومن حسن الحظ أن الفرنسيين لم يستطيعوا ان ينجزوا موقتاً وبطريق القوة ، الا فيما يرجع لقرار المحاكم العرقية .

اما فيما يرجع للغة العربية والدين الاسلامي ، فقد قاوم الشعب في الجبال وفي الوهاد حتى انتصر على المستعمرين ، وانقلب مجهوداتهم ضداً عليهم ، فالخواص الامازigh أشد قيمياً بالدين الحمدى وبالعربية والشريعة الاسلامية اليوم من كل شعب عددهم ، وذلك ما يجب أن يعد من مفخرتهم ومن مفخرة الأمة الاسلامية كلها .

لقد انتصرت العربية في الجبال ، وذلك بانتشارها رغم السذوذ الموضوعة في وجهها أيام الاستعمار ، وقد لاحظ الفرنسيون أنفسهم انتشار العربية من جهتين ، أولاً عن طريق وفراً عدد المتكلمين بها الذي كاد يضم كل القبائل والقرى ، ثانياً ، عن طريق تسرب العديد من كلماتها في اللهجات البربرية التي أصبحت تفوق نصف الكلمات التي يشتمل عليها معجم المفردات المستعملة في الحديث البربرى .

لقد قاومنا السياسة البربرية بكل مظاهرها ، وتسربنا في أشد أوقات الاستعمار إلى المدارس التي أسسها المستعمر لتكون صرح بنية الاستعمار ، فيجعلنا منها والبعد لله قلاعاً للعربية وللإسلام ، والتي

دون تعريب الثانوي ؟ وهل ينجز هذا كلّه دون أن تقرر وزارة المالية ضرورة اعطاء التعليم وتعريبه الأولوية في برامجها ، وهل يمكن ذلك دون أن يقبل المشرفوون على التعليم ضرورة المساهمة مع التخطيط الاقتصادي العام وادخال اعتبار الاتساح في برامج التعليم ، وكل ذلك يستوجب اعتبارات لا حد لها لسائل توحيد التعليم وتنسيقه ، وتوزيع أنسامه ، ووسائل تحويل التعليم الأصيل ، وما يكتنف ذلك كلّه من نقط يعوم حولها الجدل ويكثر فيها التأويل .

لقد واجه التعليم في المغرب مشاكل لا يهمنا منها الا الروح التي ملّكت تفكير القائمين عليه ، وهي : هل يجب البداية بتعيم التعليم ، أم باصلاحه ، وبعبارة أخرى هل يمكن تعيم التعليم باصلاحه دفعة واحدة أم لا يمكن ذلك . فاندفعت الحكومة اولاً إلى التعيم ثم أخذت تسير في التعيم وفي الاصلاح ، وكان النظر في أمر التعريب لا يعدو تجاذب أولية ، فقد قرر تعريب بعض السنوات المدرسية ، ثم وجدت الصعوبات أثناه الدخول للثانوي إذ احتاج التلامذة إلىأخذ وقت لتصحيح ما عربوه حتى يسايروا الدروس الثانوية ، وتبه المسؤولون بعد الى أن العقدة كامنة في ايجاد المعلمين بالعربية ، وذلك ما سارت فيه الحكومة الآن سيراً حيثما اذا واصلتة فسيؤدي لا محالة الى النتيجة المطلوبة .

وانه لمن الواجب علينا أن نعترف بما بذلته وزارات التربية والتعليم المتعاقبة من جهود لتعريب التعليم أو تكوين أنسس سياسة صحيحة لتعريب ، منوهين بما قامت به من أبحاث وذلت من صعوبات قد يستجهن بها غيرنا ، أما نحن فنقدرها قدرها ولا نألوا جهداً في التعريف بها . كما أن من الانصاف أن نبين ملاحظاتنا على المسؤولين في هذه الوزارات بروح لا يقصد منها غير المساهمة في البناء والارشاد لوسائله .

فمن الحق ان نعترف بأن التعليم الابتدائي الاهلي كان في شمال المغرب مغرباً اي ان مواد التعليم الابتدائي في التعليم الاسلامي كان باللغة العربية ، وقد فهم المسؤولون توحيد مناطق المغرب في التشرع في التوجيه على غير حقيقته . فعوضاً من أن يحتفظوا في مدارس الشمال بالعربية وحدها في الابتدائي ، ريثما يتاح لهم تعريب التعليم في جميع أجزأها ، البلاد

والآخذ بطريقة التعاون الثقافي لا يمس أبداً موقفنا السياسي من هذه الأجزاء المقتضبة ، ولكن يساعد على الاحتفاظ بالروح القومية في وسط اخواننا ريشما يجعل الله لهم ولنا من الاستعمار مخرجاً .

وهناك قضية شنقيط او موريطانيا المعروفة بفضاحة أبنائها وعلمها كعبهم في الأدب العربي وفي الشعر ، وقد اتقطعتها الاستعمار من المغرب ، واتبع فيها سياسة ادماج زماناً ما ، ثم قسر أخيراً أن يجعل دستورها ينص على أن الفرنسية هي لغتها الرسمية ، وبذلك وضع خطة لفرنساها النهائية باسم دستور واستقلال مزعومين لجمهورية اسلامية مصطنعة . وواجب المغرب اذن للمحافظة على عروبة اقليل من أعز اقاليمه هو الكفاح المستمر لتحرير شنقيط وعودتها لظيرة الوطن حيث يشملها ما يشتمله من بعث واصلاح في جميع اليادين .

وهناك برنامج التعليم وسياسته التي كانت ترمي لفرنسا البلاد والقضاة على كيانها . وقد كان طبعاً أن تبدأ الدولة بمجرد اعلان الاستقلال بالعمل على تحويل تلك السياسة وذلك البرنامج والاستعاضة عنها ببرنامج عربي وسياسة مغربية محض . وليس من الممكن أن تتجاهل المجهودات التي بذلتها وزارات التربية والتعليم المتعاقبة لإنجاز الرغبة الشعبية التي يشعر بالحاجة إليها الجميع . كما أنه ليس من الممكن أن تتجاهل الصعوبات التي تواجه عادة كل عمل ايجابي في هذا القبيل .

فالخطط الاستعمارية من التغلغل في كيانتنا ومن الاشتباك بمحارى الحياة والاعمال الحكومية ، الى المد الذي يجعل كل اصلاح في جانب مرتبطة بما يمكن أن يكون عليه الامر في الجوانب الأخرى ، فما كان التعريب ليتم ومغربة الادارة ما لم يقع البت فيها كما أن المغاربة ما كانت لتتم الا إذا وجد التقنيون باللغة العربية ، وهذا ما لا يمكن أن يقمع الا باصلاح نيابة التعليم وتكون الاطارات بالعربية ، الامر الذي لا يمكن بدوره أن يتم الا إذا تقرر تعليم العلوم بالعربية في كل درجات سلم التعليم ، وهو ما لا يتحقق الا بتخرج المعلمين والأساتذة بالعربية الامر الذي يستوجب تعريب التعليم العالي ، وهل يتسم ذلك دون تكowin تعليم أساسى لتلامذتنا بالعربية ، وهل يقع تعريب الابتدائي وهذه

وبنفس الدرجات التي دخلت بها في مدارسنا تصبح غولا تأكل العربية وتقتل **الذوق العربي** في نفس التعليم ، وانى لا اجهل ان العربية في طورها الحاضر لم تساير بعد في اساليب تعلمها وتعليمها الطرق التي تعلم فيها تلك اللغات الاجنبية ، وذلك ما يجب علينا أن ننسع للعربية المجال حتى تقف على قدميها وننفس لابنائنا المجال حتى يخرجوا من الابتدائي وهم قادرون على حماية انفسهم وافكارهم الحماية اللغوية التي هي عنوان دوام الشخصية .

واذن فالواجب على الدولة ، أن تضع إلى جانب المدارس العادية آن ، تحطيطا لتأسيس مدارس عربية ليس لها من اللغات الا ما يمكن أن يكون في ميشالاتها من المدارس في البلاد التي تعنى بنفسها ويقوماتها ثم تعمل على أن يجعل من هذه المدارس نقط الزيت التي تعم كل البلاد . وليس من المعقول أن ندع هذا النوع من التعليم لبعض المنطرين من مؤسسى المدارس الحرة الأصلية ، أو الكتايب المجددة . وان كنا نقدر أهمية الدور الذي قامت و تقوم به هذه المدارس فى المحافظة على العربية وتنوه تنويعها عاطرا بالمساعدة التي تلقاها من ميزانية وزارة التربية الوطنية والى لولاما لما استطاعت مواصلة أداء رسالتها على الوجه المرغوب فيه .

وما دمنا نتكلم على هذا الجانب من جوانب التعریف فيجب أن نتبينه الى ضرورة العمل على نشر العربية بكل الوسائل المثيرة والتي تدخل في إطار التربية الأساسية ولا سيما في المجال البربرية ، وانى لاقترح على وزارة الائمة ، أن تنظم في الإذاعة المغربية برنامجا يوميا لتعليم لغة الكلام العربية عن طريق الإثير لاسيما وان آلات الاستماع اليوم موزعة بكثرة في كل البوادي ، فإذا أعطى قسم لتعليم لغة الكلام العربية ضمن الإذاعة فسيكون له اقبال كبير من اخواننا الذين يهمهم أن يتقنوا العربية في المجال .

على أن الإذاعة تستطيع أن تقسم بدور فعال في تعسين لغة الكلام ، وفي اذاعة المفردات التقنية ، وكذلك التمثيل والسينما وغيرها من وسائل الدعاية التي سهلت الاتصال بين الناس .

وأيضا فإن العناية بالمساجد الدينية والمساجد ، وتكون الرشدين المسلمين الفصحاء ، ومساعدتهم

وفي جميع درجاته ، أضافوا الفرنسية او الإسبانية الى العربية فن مدارس الطور الاول ونفس الساعات التي لها في جنوب المغرب . وكان من الواجب أن تؤسس مجموعة مدرسية عصرية على غرار مدارس محمد الخامس أساس التعليم بها العربية ، ثم يعمل على تكثير عددها في جميع أنحاء المملكة بقدر ما تهيئه من معلمين ويرد الى مناهجها شيئا فشيئا ما كان موجودا من المدارس العربية الفرنسية او الفرنسية المحس ، ولكننا ذهبنا بعكس ذلك نعم التعليم الفرنسي العربي في عموم المغرب ، ونقل الفرنسية والاسبانية بسرعة الى شواهد جبالنا التي يجب أن تبذل كل جهد لنشر العربية فيها .

انه مهم ان الجهد الذى نبذلها للتعریف والى تحدث عنها ، فليس من الضروري أن نواصل فتح المدارس باللغات الاجنبى ، و يجب أن نحل مشكلة المعلمين بالعربية بجميع الوسائل الممكنة .

ولا تكون اكتر وضوها ، أحب ان أزيد في البيان فأقول : ان للتعریف جواب عديدة يتناولها الباحثون اليوم عندنا ، ولكن هنالك جانبا لا يتبين اليه الا القليل ، وهو حماية طائفة من الأطفال الذين أسعدتهم الحظ فلم يستمعوا من اول يوم وتلقينهم الدروس الاولى بالعربية وتوقف الاسبانية والفرنسية عند العد الذى وصل اليه الاستعمار ، ان فى ذلك الخطورة الاولى للتعریف الحقيقي لمجتمعنا .

وانى لا اعلم ان هنالك منكريين يثيرون هنا قضية تعدد اللغات في التعليم الابتدائي واحرى ما يفرضه ، وسيعرفون علينا كل المجمع والادلة التي قيلت في مصحف الفرنسيين والإنكليز والجمعيات التي أسست لفائدة الشتيبة اللغوية في التعليم ولكننى أقول لهم لا جيمعا . مهلا على رسلكم فان القضية التي يدافع عنها الفرنسيون ليست الا جانبا من جوانب الوحدة الأوروبية التي يعمل لها جمهور قوى بداعم عوامل اقتصادية وسياسية لا وجود لها لدينا . ومهلا على رسلكم ايضا فانى لا أريد أن أقص من قيمة تعلم اللغات وأشارها على التقارب الانساني والثقافي وعلى توسيع افق المعرفة عند الانسان ولكننا الان في مرحلة تدعونا الى الحذر وإلى العمل بعد لندافع عن وجودنا ، وان التجربة بينت أن الفرنسية او الاسبانية حينما تدخل للمدرسة الابتدائية مع العربية

والإصلاح الإداري . وهي نكزة طالما رأجت في كتاباتنا وفي مناقشاتنا والتي دخلت ضمن برنامجه . والمرحلة الأولى في هذه الخطة حسب ما جاء في مقدمة كتاب المراسلات الإدارية الذي نشرته الوزارة وهي أن تقرح الوزارة على موظفي مختلف الإدارات من مواطنين ومواطنات أن يعملوا على تسخير اللغة العربية واستعمالها كوسيلة واحدة فيما ينجزونه من أعمال ، فارضة على نفسها كذلك أن تعمل جادة في رفع مستوى تكوين أولئك الموظفين حتى لا تبقى اللغة التخاطب بينهم وبين المواطنين الذين يطردون أبواب مكاتبهم الإدارية فحسب ، بل لتصبح وحدتها – من غير أي منافس – لغة المراسلة ولغة الاتصالات الإدارية .

وقد أرادت الوزارة قبل كل شيء أن تحرر موظفيها من مركب التقى الذي يشعرون به نحو لغة بلادهم ونحو أنفسهم ، ونظمت في سبيل ذلك مئات المراكز التعليمية لموظفي الأطارات الوسطى والثانوية ، وفرضت النجاح فيها كشرط لكل تقدم في الإطار ، وستفترض ذلك نفسه على موظفي الأطارات العليا . إن هذه الخطوة الجريئة متى بلقت مداماً ستساعد على تعريب الإدارة في أقرب وقت ممكن ، وسيسهل على المتخرين بالعربية أو المتدين للعربية العمل في جو عربي لا تسد عليه المجمة باب التفتح والنمو .

ومن الاصناف أن نقول إن هذه الخطوة تفقد قيمتها إذا لم تتم الوزارة ما وعدت به من خطوات أخرى فسي سبيل تعريب الإدارة المغربية والقائمين عليها ولا سيما في سبيل تعريب المسؤولين الكبار الذين يفكرون ويكتبون بالفرنسية ، فمن العار أن تظل المشروعات التي تعرض على الدولة تكتب بالفرنسية ثم تنقل بعد ذلك إلى العربية ، واسلوبها الفرنسي باد في اللغة توقين الفكر .

وكان يقف أمامنا القضاة ، العصرى بجميع جهازه ، ذلك القضاة الذي ورثناه عن الاستعمار بقداسته واجراماته وفته وبقضائه الإنجانب أيضاً ، ومن حسن الحظ أن القانون الذي صادق عليه البرلمان أخيراً قضى بتعريب القضاة في جميع درجاته فائتها خرافية الضرورة الفنية في هذا الجانب من نشاطنا القومي .

ومن حسن الحظ أيضاً أن القسم العربي لكتلتي الحقوق والأداب والمدرسة الإدارية العربية بدأت تعد الكثير من

على القيام بهمتهم داخل الأراضي المغربية لن يختدم الدين والخلق فقط ، ولكنه سيشرر العربية ويعين على تعمق الجمهور لهم مفراداتها ، انه ليس هنالك شيء الصدق بحياة الفرد وسلوكه كالذين الذي يتغلغل في الفكر ويفرغه اللسان وتعلمه به الجوارح . وإن علماء والائمة المرشدون هم الترجمة الذين ينقلون فحوى ذلك و قاله للفرد وللمجتمع .

### مجهودنا بعد الاستقلال

لقد ورثنا بعد الحماية جهازاً إدارياً ضخماً كان جل رجاله من الفرنسيين وكانت لفته هي الفرنسية وحدها . ولا تستعمل العربية إلا في حاجة تفهم الإهالي بعض المسائل او ابلاغهم بعض الأوامر . ولقد بدأنا مغربة الادارة عن طريق حشد المتقين وانصافهم من اخواننا وجهم والحق يقال من درساوا الفرنسية ولم يتم يتقنوا العربية الا قليلاً ، ولكن المغاربة لم تستطع ان تتم كلها لأن اطاراتنا الفنية ضئيفة ، الامر الذي فرض علينا الاحتفاظ بقسط لا يأس به من الإجانب في انتظار تكويننا السريع او البطيء . وقد خيل الى المسؤولين هنا زماناً ، أن هذا التكوين يجب أن يكون بالفرنسية والفرنسية وحدها ، نظراً للفائدة المتواخدة لانه ما دمنا محتاجين الى عديد من الفنين الإجانب وما دام هؤلاً في ادارتنا فليس من المعقول أن ناتيهم بموظفين فرنسيين مغاربة متعلمين بغير الفرنسية لو لا يعرفون الفرنسية ، وهذا الخطأ في التقدير ضيق علينا وقنا كان يجب أن نوزع فيه اخواننا على كل الجامعات وبكل اللغات . وفي انتظار وجودهم يجب أن ننفذ اسس التعريب التي لا بد منها ، حتى يدخلوا على أساس العمل باللغتهم وإذا كان لا يزال هنالك جانب فمن المستحسن أن يشجعوا على تعلم العربية ، او عند الضرورة تستعمل الترجمة في أضيق حلوها .

واذن فالقضية قضية اقتدار الموظفين المغاربة الموجودين والذين سيجدون على القيام بوظيفتهم باللغة العربية ، ولو كانوا قد درسوا فروع اختصاصهم بمختلف اللغات الأجنبية .

هذه ، الى جانب مجهد وزارة التربية هي نقطة البداية التي قامت بتنفيذها وزارة الوظيفة العمومية

رجال اللغة ولا أسرارها .

ولغتها يعكس الواضعين للعبرية الحديثة لم يكتبو من المسألة اليوم ، هي كيف يرتفع مستوى العربية الجديدة ويُسْعِ إفق دلالاتها حتى يشمل كل جوانب الحياة والنشاط المصري مع المحافظة لها على هذه الصلة المتينة بالفأد القديمة وبالبيان القرآني المعجز ؟ ثم كيف يمكن العمل لتصبح اللغة الفصحى الحديثة لنفس الخطاب والمعاملة في الوقت الذي هي فيه لغة انتسابه والخطابة والتاليف ؟ .

وهذا ما يشغل المصلحين الذين يمدون بصير اللغة العربية في بلادنا وفي سائر بلاد العرب ، وقد أنسنت وزارة التربية الوطنية ممهدًا للتعریب (١) ليقوم بابحث والدراسة حل مشاكله وهو في الحال مستمر مع المجهودات العربية في البلدان الأخرى عن طريق المكتب الدائم لمؤتمر التعریب وقد عقد هذا المكتب عدة مؤتمرات للتعریب في الرباط وأقرت مناهج عمله في إطار الجامعة العربية .

وقد قسم ممهد التعریب ميادين العمل لصالح العربية إلى قسمين : قسم داخلي للغة وقسم خارجي عن اللغة . وستجاري هذا التقسيم فيما تتناوله من بحث في هذا الحديث .

#### القسم الداخلي

أ - الكتابة ، لقد شعر العرب منذ بداية نهضة الحديثة بالنقص الذي يجدونه في الكتابة العربية التي تحتاج إلى الشكل ، ولا يمكن قراءتها قراءة صحيحة إلا به ، ولا يمكن للكاتب أن يشكل كتابه إلا إذا كان عارفاً بالنحو وقواعده ، بينما نجد اللغات الأجنبية أنيوم يتلقن أربابها القراءة والكتابة على الوجه الصحيح ولو لم يتبعروا في معرفة اللغة ولم يتلقنوا تعلوها ، حتى أنه يمكن للأجنبي الذي لا يعرف لغة ما من اللغات الأوراقية أن يتعلم القراءة في مدة بسيطة ولو كان لا يفهم مما يقرأ ، هذه هي المشكلة مجملة ، وإن تفصيلها يحتاج إلى وقت لا يتم في ظروف هذه الفصول .

#### الطباعة

ومثل ما تقدم يقال في الطباعة باللغة العربية وفي الآلة الكاتبة وكل إخراج عربي عن طريق الآلة . وتطرح قضية الطباعة العربية مشكلتين أساستين :

حملة شهادتها بالعربية المحس أو المختلطة ، ولكن مؤلاء أنفسهم يظلون في أثناء ممارستهم للعمل بحاجة إلى جو عربي لا بد أن يساهموا في خلقه ، ولا بد أن تكون نية الحكومة متوجهة بصفة جدية إلى وجوده ، فائقوا نين المقربة اليوم لم تجمع كلها ، ولم يعرب ما هو موجود منها . مع أن ذلك في مقدمة الخطوات التي يجب أن يعمل لها المجاهدون في سبيل التعریب بالمغرب .

#### مشاكل اللغة العربية

والآن لنعرض إلى جانب آخر من جوانب العمل على ضمان مستقبل زاهر للغة العربية في بلادنا وفي كل البلاد ، وهذا الجانب مهم جداً لأنها يتعلق بعصرية العربية ومقدرتها على التطور ومسيرة روح العصر ، دون أن تقطع الصلة بالماضي أو تخرج عن روح الفلسفة النحوية التي سايرتها دائمًا .

وإذا نظرنا إلى لغة العرب اليوم ، نجد من جهة العامية التي تتحدث بها كل بلد أوإقليم من إقليمي العرب ، واللغة الفصحى القديمة التي تدرسها ثلاثة من المتتقين وتحتاج في تفهمها إلى حل المفردات ثم تجميع المعنى المقصود ، من جهة ثانية ، وبينهما هذه الفصحى الحديثة التي هي لغة الكتابة والتعریب والخطابة ، التي هي في الواقع محاولة ترمي إلى المحافظة على اللغة القديمة ورفع مستوى العامية إليها أو كأنها صنعت ما بين العامية والفصحي .

وقد استطاعت اللغة العربية العصرية أن تحافظ على الطابع العربي في النحو وفي الأساليب (بلاغية) وبذلك يمكن أن يقال بهذا الاعتبار أنها امتداد للفصحى القديمة في شكل حديث أو تعبير عربي عن أسلوب الحياة الجديدة ، ولكن هذه الفصحى الحديثة ليست تلقائية بالمعنى الذي يجب أن تكون عليه اللغة الأذانية ، إن فيها ولا شك نوعاً من الاصطناع الذي أحوج إليه المدرس والتعلم واكتناء أسرار اللغة ، وأحياناً التعبير عن الفكر الذي يفكر بلغة أخرى ، ومع ذلك فإذا نحن قارنا علاقة العربية الحديثة بلغة القرآن نجد الصلة المتينة ومستمرة يعكس ما جرى للغة العربية الحديثة التي ابتعدت كثيراً عن لغة التوراة ، لأن أدباً ، العربية والفنين بشروطها اللغوية هم قبل كل شيء رجال العربية

(١) أهيل هذا المعهد إلى مركز وطني للتعریب ليشمل نشاطه كل مراافق الدولة في حقل التعریب .

ضمف المُطَّلِّعِيْرِيْبِيِّيْنِ الَّذِي هُوَ فِي الْإِسْلَامِ الْمُجَرَّدِ .  
وَالَّذِي يَعِيشُ الْيَوْمَ مِنْ بَقِيَادَةِ الْمَغْرِبِ .

وهكذا فلم يعد محل للبحث عن لاتينية العربية وإنما أخذ الباحثون يعملون على ايجاد اصلاح للكتابة العربية ، وللطباعة العربية يهمنا هنا الاصلاح المغربي الذى عرضه الاستاذ احمد الاخضر والذى كان نتيجة محمود دام سبعة أعوام ، والذى اعتمدته فيما يظهر وزارة التربية الوطنية ، وإن كانت آثاره لم تظهر فى التطبيق بعد . ويقوم على أساس ضمان الحاجة المصرية دون اساس بستنة الكتابة العربية . وطريقة الاخضر هي أن الحروف العربية تنقسم إلى ثلاثة عناصر : المرف ، والصلة ، والالحاق ، وهذا الاخير انحصر في ثلاثة انواع اي ثلاثة مجموعات من الحروف :

الواحد : للباء والتاء والثاء والفاء والقاف والكاف واللام .

والآخر للجيم والخاء والراء والزاي واليم .

والثالثة للسين والشين والصاد والضاد والمون .  
وهكذا نزل عدد المروف الى تسعين حرفًا بما من الحركات والعلامات الخطية ، والنقط والارقام  
٧ ٦ ٥ ٤ حروف ذات النقط الثلاث (ج ب ف) وهكذا توصل  
ب إلى حل مشكلة الكتابة فأصبح القاريء يجد  
ما مشكولة مضبوطة حتى يتعود على النطق الصحي  
للمعربية .

وسيتمكن حل مشكلة آلة الطباعة ، اذا امكن صنع آلة تحمل بالعربة ، وانخفض نسخ طابعة اللينوتيب وأصبحت كتابة العربية وقراءتها سهلة التناول ، سواء بالخط او بالطباعة .

ومنذ سنة 1958 ، اشتهرت وزارة التربية الوطنية من السيد الأخضر حقوق استعمال طريقة ، وستجعلها واجبة في الكتب المدرسية اولاً ، ثم بعد ذلك يمكن ان تصبح اجبارية في الادارة وغيرها .

٢ - كيف يمكن للعربي أن يقرأ ليفهم ، لا أن يفهم  
ليقرأ ؟

٣ - كيف يمكن ذلك وآلات العالم العيارية لا تحتوى على أكثر من ٩٥ حرفا ، بينما شكل أبسط نص شرقي يقتضي ٤٧٥ حرفا ؟

فما هي طرق التغلب على هذه الصعوبات؟

وقد دعا عبد العزى زهئى الى لاتينية الكتابة :العربى  
جهرا فى أروقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة  
ولكن الغلبة الساحقة من العرب  
رفضوا النظر فى هذا.اقتراح مقتبسين بأن  
تطبینه سیضيّع زوح اللغة العربية ويفوت على العرب  
الاستفادة من تراثهم الضخم الذى تتليء به رفوف  
الخزانة الخاصة وال العامة في كل العالم ، وقد اعترف  
الاستاذ ماسينيون بأنه كان فكر على اثر ثورة كمال  
أتاتورك والغانه للغة العربية في ترکيا أن من  
المناسب أن يصلح الايرانيون والعرب كتابتهم بطريق  
الاقتباس من الحروف اللاتينية ولكن عاد فوجد أن  
لاتينية حروف الهجاء ، العرب يهدى أساس النحو العربى  
الذى هو الاعراب ويضيّع على العربى سرها ، لأن  
هذه اللغة السامية الخاصة لغة الشهادة يجب أن  
يعانقها عليها كما هي لتؤثر على تكوين عام حقيقى للغة  
العالمة المقبلة ، وترك التجانیة العربية يرمى الى

يقدم ذلك عرضاً في اثناء البحث للمعاني عن انسحابها  
والمسؤوليات على الكلمة الدالة عليها .

وهذا الجانب هو قسم المصطلحات العام ، اي الذي يتناول البحث في معجم الحياة اليومية وما يعبر به . كل فرد وكل شعب عن الاشياء المحتاج اليها من لباس وأثاث منزل وأدوات عمل ومرافق وتعابير جديدة او مدركات عصبة .

وقد لاحظ المهدى ان المغاربى يجد فى اللغة الاجنبية ما يرضيه ولا يجد فى لغته ما يلبي رغبته ، وحيثنى يحار بين استعمال اللغة الاجنبية او اللغة العامية مختلفاً بينهما . مع ان هنالك فى العربية ميداناً للتعشور على الكلمات الصالحة لتأدية أفكاره ، ولكن اللغة جزء لا يتجزأ او كائن حى واحد فان اعتنى به عاشر وان ترك ضعف او مات .

ازدواج اللفة

ومنها الوضع الذي يثيره البحث في مهنة المصطلحات وال نحو المغربي ، ينتقل بنا الى البحث فيما سماه بعض الباحثين العرب بالازدواج في اللغة . ويعنى به هذا التعدد الذي أشرنا الى وجوده في كل بلاد العرب ، وهو اللغة الفصحى واللغة العامية .. ولتمييز الاولى عن الثانية طريقة النطق ، ثم طريقة تركيب الجمل ، الى جانب الاختلاف في المعجم . احياناً . وقد اوضح جورج زيدان فضل القرآن الكريم على بقى وحدة اللغة العربية بين اقطار العرب ، اذ لسواء لاصح اختلاف المهرجانات الاقليمية التي تتطور كلماتها بحسب الاقليم - الذي تنشأ فيه اختلافاً عيناً في اللغة - مثل الاختلاف الذي أصاب لغات الغرب المشتقة من اللاتينية مثلاً .

على أن وجود اللغتين، يؤدي حتماً إلى وجود تفكيرين لأن اللغة هي قوالب الأفكار، فكما أن هناك لغة عالمية يلزم أن يكون هناك تفكير عالمي أو شعبي، كما يلزم أن يكون بجانب اللغة الفصحى الثقة هي للخاصة تفكير خاص بطبقة راقية، وخطورة المسألة في وقوف التفكير الشعبي، عند معاهلة الكلام بالفصحي، والتفكير بها.

ثم ان القافية في كل اقليم تؤثر على اسلوب الكاتبين بالفصحي ، فيؤثر كل كاتب الكلمات او الاسلوب الذي يوجهه فمه عقله الماطن لانه يتفرق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •  
الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ • مَا لِكَ  
يَوْمَ الدِّينِ • إِنَّا كَمَا نَعْبُدُ  
وَإِنَّا كَمَا نَسْتَعْبِدُ • اهْدِنَا  
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ  
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْنَا مِنْ  
غَيْرِ النَّمَاضِيِّ بِعَلَيْنَاهُمْ  
وَلَا الضَّالِّينَ •

المصطلحات

أما فيما يخص المصطلحات والنحو فقد أمست وزارة التربية معهداً للنظر في النهوض بها، وذلك عن طريق وتجريد التراث العربي لاستخراج اللافاظ العربية التي تعنى بسمائل الحضارة، وهو عمل جليل وشاق لما يستوجبه من مطالعات وحفريات في بطون الكتب والماجمع المعتبرة.

وهذه البداية التي يبدأ بها المعهد علمية بكل معنى الكلمة ، لانه يجب قبل كل شيء أن نعرف ما عندنا مما نحن محرومون منه ، ومتى تم الاستقصاء وخرجنا باحصاء شامل ، عرفنا ما ليس موجودا في العربية من الكلمات الدالة على مدلولات لها في لغات العجم اسم او أكثر ، وحينئذ تنتقل الى وسيلة سهل الفراغ عن الطرق المستعملة عند الاجانب من تعریف ونحو واشتقاق أو زد العامي للacial أو اتباع ما استعملته العامة مما ليس له أصل .

لقد سبق المغرب الشعوب العربية للعناية بهذا الموضوع وبعثه ، اذ لم يسبق بلد عربي قبل المغرب أن اهتم بأمر تحرير الترات . لاستخلاص عمومه ، وانما

والشين ، ولكن هذه الآفة ذهبت لتحول محلها آفة أقبح منها وهي نطق الهمزة قاتا فيقال القمير عوضا عن الأمير والقرنان عوضا عن القرآن .

فإذا أضيف إلى هذا الاختلاف الموجود في "التسابية" وفي الإزقام وفي الشهور الاعجمية ما بين الشرق والغرب والمغرب العربي شرفت أضرار الإزدواج على وحدة اللغة وما تحدثه من اندلسيّة في الفكر وفي الاتجاه .

فما هي الوسيلة إذ تكون نفحة عربية موحدة واسمية ؟

لقد كانت المدارس الفرنسية في الشرق في مقدمة من حمل الدعوة للاستغناء عن العربية الفصحى وكتابتها والاستعاضة عنها بالعامية وبالمعروف اللاتينية . وقد سبق أن نقلنا تراجع المسيو ماسينيرون عن هذه الفكرة مع أنه حمل رايته زمنا ، ومن جملة المحاولات التي خرجت من المدارس الفرنسية في لبنان ، الكتاب الذي نشرته المطبعة اليسوعية وألفه الأب رفالن تحمله باللغة الفرنسية مع كتابة النصوص العربية بالمعروف اللاتينية وغايتها وضع قواعد ثابتة للهجة العامية في لبنان .

وكذلك الكتاب الذي أخرجته المطبعة اليسوعية أيضا من تأليف الأب لاي اليسوعي وسماه التحفة العامية في قصة فنيانوس وهي رواية باللغة العامية وتمثل ناحية هامة من حياة اللبنانيين (1)

ولقد أثار مني بيريس وضع الأدب الشعبي العربي ودعا أيضا إلى الاستعاضة بالعامية عن الفصحى وكان الدكتور هيكل في مقدمة الذين تأثروا أول عهده بهذه الدعوة فدعى إلى كتابة القصص والتسليليات باللغة العامية ومن سوء الحظ أن تلية تشجيع الحكومات للتتمثيل والسينما وعدم الاهتمام بتوجيههما الوجهة الصحيحة حمل القائمين عليهم أن ينزلوا إلى مستوى الرجل العادي فيكتبوا له بالعامية ويستعملوا كل ما يمكن من تسلق للغرائز وللاموهاء . حتى أدى الأمر إلى اعتقاد الكثرين من أخواننا العرب بأن الشعب لا يفهم الفصحى أو لا يتطرق مجازيها أو أنها هي غير صالحة للأعراب عن النكتة المقبولة وال فكرة الشعبية المطلوبة . والواقع أن القضية قضية اتقان وابداع في الفن ، فقد شاهدنا عدة

أكثر من كل كلمة أو أسلوب آخر ، وهذا ما يجعل أخواننا العرب لا يقدرون الترسل المفربي أو الاستعمال المفربي لبعض الكلمات أو الجمل ، بينما نجد نحن غراة في بعض أساليب أو كلمات الكتاب اللبنانيين ونفضل بينهم وبين الشاميين أو المصريين على قدر ما يقتربون منا أو يبتعدون ، وقد وصل الامر إلى حد أن مؤلف الروائع حكم على المغاربة بالمجمدة مطلقا لأنه لم يستطع ان يملأ المغایرة التي في أسلوب ابن حليون لأسلوب السيد الفاضل ، مع أن الفيلسوف المغربي يرجع الفضل في توجيه الانشاء العربي هذه الوجهة التي تلقفها المحدثون وحسينوها ، ولو لاه لبيقت العربية غارقة في طرائف السجع المتلتف والتراكيب الجوفاء التي يصدق عليها تعبير المعري : أسمع جمجمة ولا أرى طحنا .

وقد انصف الاستاذ الزيات في كتابه (دفاع عن البلاغة) حين قال وهو يعرض التطور السنوي لآداب العربية : وآخر النابغون من خريجي المدارس المدنية الحديثة الذين وقفوا على آداب الفرقانة الطريقة الخلدونية على الطريقة الفاضلية لجريانها مع الطبع وملامتها لروح مصر و مشابهتها لأساليب الفرس فظهرت مهذبة عنده في ما كتب قاسم أمين وفتحي زغلول ولطفى السيد ومن جرى مجراهم الخ .

وكما أن للعامية نفوذا على الفكر المغربي فلها نفوذ على النطق أيضا حيث نجد أخواننا المصريين ينطقون الجيم فيما معقودة بينما صحرا ، المفرد وصعيد مصر ينطق القاف معقودة . وإذا كانت هذه تتفق مع استعمال بعض العرب الذين قال شاعرهم :

حج الحجيج وناتئي معقوله يارب ياملاي ذلك عقالها  
فإن الجيم المعقودة عامية محض ، كما أن من العامية نطق القاف آفا و عدم التفرقة بين الشين والسين ، أو الجيم والزاي .

ومن الملاحظ أن هذه العثرات في العامية تتتطور وتنتقل من حرف إلى آخر .

فقد كان المعروف في قاس هو الخلط بين السينين

(1) كتاب التشوير والاستعمال من 221 تأليف مصطفى الخالدي وعمر فروخ .

الكونفو والجانبون ، حيث يقيسون حفلات شعبية باللهجات الفعلية النهاية منها نشر الروح الكاثوليكية في عادات وحياة السود .

على أن هذه الدعوة لم تجد قبولاً من الشيوعيين أنفسهم فقد احتاج الصينيون ضداً عليها بالصيغة الآتية : (ان جحج الذين يدعون لاستعمال اللهجات من ما ياتى : حيث اننا نكتب حوادث لفترة ما ، ويستعمل الناس فيها نوعاً من القول ، فيلزم من ذلك أن لن تكون قسوة التعبير الا اذا كتبت وامكنتها الاعراب عن الاحساس بالحقيقة ، وقد كتب لاوشو أمن المجاز ؟ ان أحداً لا يفهم ، وإذا لم يفهمه أحد فهل يمكن الحديث عن المجاز . ان الاختيار او البعث باخذ العامي يحكم بالنقض من قيمته لانه يلزم العرب أن يخلقوا أدباً جهرياً ) (3) ويقول مؤلفها كتاب (التبيشير والاستعمار) (4) ما يلي :

« وبعد أن قامت فكرة (الكتابة في العامية بالحرف اللاتيني ، رجمت من جديد وتحت ستار «تسهيل اللغة ، إلى الاستيقاظ ، وأخير ما ظهر في هذا الباب (تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطقى جديد) تأليف الدكتور أنيس فريحة» ، ولكن يبدو أن الدكتور أنيس فريحة يريد أمراً آخر ، يريد أن يجعل من اللغة العربية الفصحى والحرف العربي مشكلتين يستحيل حلها ، ولذلك هو يريد أن ينتقل العرب إلى الكتابة العامية بالحرف اللاتيني ، إنه يبسط رأيه هذا على منعنى كبير وشئ من التهمك كان يجب أن يتعرف عنه من يدعا إلى أساس منطقى جديد : إنه يقول :

« يطالب مثلاً بعض متبنى الحرف اللاتيني تسهيلاً بالمقراء وتخفيفاً لنفقات الطباعة . ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ، ولا نرى خلا للكتابة إلا بتبني المحرف اللاتيني وتبسيط الكلمات فيه مرة واحدة ... واما الذين لا يرون مشكلة في الامر ، وهم من لم يمارسوا التعليم فيقولون : هؤلاء جماعة خارجية على المروبة وعلى الاسلام . ويطالب بعض الناس بتيسير قواعد العربية لتقارب من العامية أو لرفع العامية لتقرب بمن الفصحى فيتسائل البعض الآخر وهل العربية معقدة لنبسطها او

روايات مما كتبه رجال الطليعة كنجيب حداد ومطران وزيدان ومصطفى كامل وعبد الله نديم باللغة الفصحى تسئل في بلادنا وفي الشرق فيقبل عليها جمهورنا أكثر مما يقبل اليوم على القصص العامة على الرغم مما في هذه من تهريج وتملق للغرائز .

وقد دعا الاب نخلة اللبناني إلى ما اختار تسميته بالادب الشفوى اي غير المكتوب ويعنى به ادب العامية . وعوضاً عن ان يتبناه الى مجرد الاهتمام باسم تخلص الروح الشعبية من أمثال العامية وأغانيها ونكاتها التلقائية فقد أحب ان يسميه أدباً مع أن الأدب لا تكتفى فيه التلقائية بل لا بد من الفكر والمعرفة وهو ما يخرج عن نطاق العامية والعامية .

ويلاحظ فانسان مونطي ، ان المناقشة بين أنصار العامية والفصحي قد ابعت من جديد على اثر مجهود الديمقراطيات الشعبية لرفع مستوى الغولكلور وما أحدثه من تأثير على شاطئي ، النيل اذا أصبح من بين الكتاب اليساريين انصاراً للادب العامي ويقول مونطي : ان للسلحين في روسيا اليوم لغة (وطنية) ليست في الحقيقة الا تعسيراً كتابياً لللهجات المتكلمة بها . وقد الغيت اللغة العربية من الداغستان مع انها كانت لغته التقافية حتى سنة 1924 ، وقد أراد ستابلين حسب تعبيره الشهير في 28 مارس 1925 تأسيس ثقافة ذات شكل وطني على أن تكون ذات محتوى اشتراكي . (2)

وقد بحث أخيراً سلطانوف مسألة تكثيف ، اللغة القومية في البلاد العربية ولا سيما في مصر سنة 1955 فدعا إلى استعمال العامية في كل ميدان لم تدخله بعد (القلال والخطابة السياسية والمالية) (2)

ودعوة سلطانوف هذه ، أخطر من الدعوات السابقة لأنها لا تزيد رفع مستوى العامية للاحتفاظ بما فيها من معانٍ شعبية ، ولكن يراد بها فصل الجمهور عن الفصحى ومحتوها واعطاء العامية محتوى خاصاً وجديداً . وهو أشبه بالاصلاح الذي قام به الإمام الجوزي في المغرب لادخال التصور والطريقية في صميم الشعب في عصره وهو ما يقوم به فريق من المبشرين المسيحيين في

(2) مونطي ، العربية العصرية من 78

(2) التبيشير والاستعمار من 223

(1) مونطي ، كتابه عن مسلمي روسيا ص 83

(1) مونطي «العربى العصرية» ص 79

سهلة لتبسيطها ؟ إنما أنتم جماعة خارجون على العربية وعلى الإسلام .

« ولما ذا يثور الناس كلما طالبنا بالتبسيط ؟ لما ذا يتهموننا بالخروج ؟ إلأمر بسيط لا يدركون إن هنالك مشكلة ، ولما ذا لا يدركون : إلامر بسيط الجهل ، الجهل عن العرب الأكبر » .

وعقب خالدى وفروخ على كلام فريحة إن الدعوة إلى العالمية وإلى العرف اللاتيني معناها :

١ - خلق مشكلة لا حل مشكلة .

٢ - قطع حاضر العرب وبمستقبلهم بماضيهم .

٣ - تتفيد للعرب تبشيرية استعمارية لأن الأمر بذلك ، ولا يمكن أن يكون سبب هذه الدعوة الآن غير سببها بالأمس .

٤ - ان كثيرا من كتاب الدكتور فريحة لا صلة له بتبسيط العربية على الاطلاق ، كجدول ضمائر الاشارة مثلا ، ان الدكتور فريحة يقترح لاسماء الاشارة (ص 33 - 34) عددا أكبر من المدد الذي تتشبه كتب النحو المدرسي . ان الدكتور فريحة يريد أن يبرز أشكالا كثيرة لضمائر الاشارة كما يسميتها هو لكنه يحسم مشاكل اللغة العربية الفصحى ومشاكل الكتابة بالحرف العربي توصلًا إلى الدفاع عن زايده في اتخاذ العالمية لغة كتابة وأحوال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية . (٢)

ومن الذين ردوا على هذه الدعاية التبشيرية طه حسين فقال :

« أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالاتجاه إلى اللهجات العالمية إلى شيء خطير ما أرى : إنهم قد تکروا فيه فأحسنوا التفكير . وهو أن العالم العربي الآن وكثيرا من أهل العالم الشرقي كلهم يفهم العربية الفصحى ويستخدمها وسيلة للتعمير عن ذات نفسه ، وللتواصل الصحيح اللغوي بين أقطاره المتباينة ، فلنعتذر إن نشجع الكتابة باللهجات العالمية . فيمضي بكل قطع في

(١) تبسيط قواعد العربية ص ٧٧ .

(٢) التبشير والاستعمار ص 224 .

(٣) طه حسين مجلة المصاد عدد ١ ص 26 .

حياتهم الخاصة . وحينما وقع تدوين اللغة الوطنية انتصر عليها كلفة رسمية ولم يسع لواحدة من اللهجات الأخرى بالتدوين ولا انن للإقليم حتى باصدار جريدة بلغتهم الخاصة . بل انهم محووا ما كان مكتوبها بلغة الباسك تصبوا منهم للغة القسمية وحافظة على كيانها .

واللغة الفرنسية نفسها على الرغم من كونها أصبحت قومية ورسمية في كل فرنسا لم تسلم من وجود الفرق بين لغة الكلام الذي يتحدث به عامة الشعب وبين لغة الأدب والكتابة ، وذلك مظهر عام لكل اللغات تقريبا . وقد بين بلومفولد ان لكل لغة ثلاث مستويات عالٌ ومتوسط وشعبي . (1)

ويقول كمال الحاج (2) : « ومن هنا تنبه الكثيرون من علماء اللغة المتخصصين في أمور الفلسفة أيضا إلى هذه الازدواجية في نفس الإنسان . الامر الذي يحتم على كل لغة بشرية ثنائية العامية والفصحي ، لا شك في أن هذه الثنائية على درجات ولكنها كانتة في لغات البشر كلهم ، لذا يقول مندريس ما يلي :

ينحصر الفرق الاساسى بين اللغة العاطفية واللغة المنطقية ، فى تكوين الجملة ، هذا الفرق بين تماما عندما تقارن اللغة المكتوبة باللغة المحكمة مثاثن اللقان المكتوبة والمحكمة ، تبتعدان فى الفرنسية احداهما عن الأخرى ، الى حد ان الفرسين لا يتكلمون اطلاقا كما يكتبون ، ولا يكتبون كما يتكلمون ، الا نادرا كل حالة اختلاف فى ترتيب الكلمات الى جانب اختلاف المفردات ، ان الترتيب المنطقي الذى تسلك فيه كلمات الجملة المكتوبة يعطى دائنا فى الجملة المحكمة قليلا او كثيرا ، فمن اللغة المكتوبة مثل هذه الجمل :

*Il faut venir vite, quant à moi je n'en pas le temps de penser à cette affaire.*

*Cette mère déteste son enfant.*

تختذل هذه الجمل معظم الإنجليز - في اللغة المحكمة صيغة مختلفة كل الاختلاف فنقال :

*Venez vite. Dès temps, voulons est-ce que j'en ai, moi. pour penser à cette affaire-là. Son enfant ! mais elle le déteste, cette mère ! (1)*

وينقل جوستاف لزيون من كلام بركمارد ما يلى :

« وتجد اختلافا كبيرا . لا ريب في لهجات اللغة

أصبحت مصدرا تاريخيا للغات الحية الراقية في الغرب كالفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية ، بينما لم تكن هذه الا وحدات من لهجات وجدها العرب يوم فتحوا إسبانيا وببلاد الفال ، وقد تغلبت في فرنسا مثلا لغة جزيرة فرنسا وهي المنطقة التي فيها باريس .

ولكنهم حين يقارنون بين العرب وبين أوروبا في عهدهما اللاتيني ، وبين عهد هذا اليوم والمهد الذي يرسيونه بلادنا غدا ، انهم حين يفعلون ذلك لا يتعصّبون في دراسة الواقع في بلاد اوربة نفسها ، فهل استطاعت قومية اللغة او اللغة القومية الخاصة ان تمنع من قيام لهجات إقليمية تفرض عليها اللغة الوطنية فرضا بحكم مراد الدستور ؟ هذه واحدة والثانية هل سلمت اللغة الوطنية نفسها في كل البلاد من وجود عامية تقل أو تكثر الفوارق بينها وبين الوطنية اي الفصحى بحسب البلاد والمجتمعات ، وهذه ثانية واما الثالثة فهى هل استفنت اوربا في مرحلتها الحاضرة عن لغة موحدة بين دولها ؟ وهل لم تشعر اليوم بخسارة التجربة التي قامت بها في عهود الوطنية الضيقة ؟

فإذا نظرنا إلى فرنسا نجد ان بها عدة لغات إقليمية لم يستطع اختيار اللغة الوطنية أن يقضى عليها ، فثم لغة الباسك التي يتكلّم بها قبائل الوساكن القاطنون في البلاد من أقدم العصور وهم الذين سموا إسبانيا بفسكونية ، وهذه القبائل يقطن عشرات الآلاف منها فرنسا ونحو المليون ما يزال في شمال إسبانيا ، وهناك اللغة البروفنسالية وبها عدة لهجات (باتو) وهي لسان سكان القرى في العمارات الجنوبية وفي ضواحي مرسيليا ، واللغة البروتانية وهي بقية من لغة السلت ويتكلّم بها أزيد من مليوني فرنسي غربي فرنسا . وثمة لغة الفلامند ويتكلّم بها مئات الآلاف من سكان الشّمال ، ومثل ذلك يقال عن إسبانيا والبرتغال وجبل اقطر العالم . ويصل الفرق في هذه البلاد الى حد أن سكان القرى البعيدة لا تستطيع ان تفهم اللغة الرطنية التي يتكلّم بها الباريسيون وعامة الفرنسيين الا بحكم الدراسة والتعليم . اذ اللغة الأم بالنسبة اليهم هي اللغة المحلية التي تخاطبهم بها أمهاتهم ويسمعونها في

(1) موسيطي ، العربية العصرية ص 82 . (2) كمال الحاج ، فلسفة اللغة ص 238 .

الآن سببا في نجاح وحدتهم وعاملا قويا في انبات  
كيانهم .

ولقد حاول بعض الاجتماعيين ومن بينهم هانوتور أن يذكروا عدم حاجة المجموعة البشرية إلى لغة واحدة لكي تتحد ، معطياً الاتحاد السويسري كدليل على ذلك . وإذا كان هذا صحيحاً من الناحية القانونية ، فإن المعنويات تظل مفكرة . والاتحاد السويسري لو أُنهى أصيب بأزمة خارجة عنه ، وزالت عنه العماية الدولية التي تقضي بها انحصاراً على التوازن بين دول الفرب الكبرى ، لو وقع ذلك وعممت كل دولة مجاورة لاحدي الوحدات السويسرية على جرها إليها لما وجدت صعوبة في أن تندمج تلك الوحدة مع البلاد التي ترتبط واباها برباط اللغة والدين . ولقد وقعت على اثر مائة الكونفو رجة في بلجيكا عرضت وحدتها للاقتراف ، إذ تكونت في كل من والوني والفلامنك حركة محلية هدفت بتكون حكم ذاتي خاص .

فاللغة اذن شئ، ضروري كعامل ربط وتوحيد بين العناصر التي تتكون منها الامة او الامم التي يتكون منها الاتحاد ، وذلك ما عناه جولييان بانسا في مقاله عن الروح الاوروبية اذ يقول :

إذا كنا نعمل على أن نزود الفرب بوحدة روحية : علينا أن نجند العملات في سبيل إنشاء لغة غربية ، اعني لغة تضاف إلى لغات مختلف الترميمات الغربية ، بدون أن تحدث التخريب في هذه اللغات . يكون مثلها مثل الفرنسية التي أضيفت إلى البيكاردية والبروفنسالية ... ومثل الانكليزية التي أضيفت إلى الفالية والإيكوسية ، هذه اللغة يتلقنها الأولاد جنباً إلى جنب مع لغة بلادهم . مثلهم مثل الأولاد عائلات متقدرات كثيرة في الغرب ، يتعلمون الفرنسية لمدة طويلة بالإضافة إلى لغتهم القومية . (I) وهكذا نرى أن أوربة التي يريد القوم أن يقتفيوا اثر افتراقها ويطالبوا بأن تكون العربية لاتينية والمعتمدة لغة كل اقليم من أقاليمهم ، رجعت إلى نفسها تبحث عن وسيلة تقتفيها من الفرق ، وتجمع شملها فلم يتم لها ذلك بغير البحث عن لغة

العربية العامة أكثر مما في اية لغة أخرى على ما يحتمل ، ولكن لا يصعب عليك ان تفهمها جميعها اذا ما تعلمت أحدهما ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التي يتكلم أحدهما بها وهي الواقعية بين مدينة الصويرة ومدينة سقسط ، وقد يكون اختلاف طبيعة البلدان تأثير في اختلاف تلك اللهجات التي هي عنية في أودية مصر والعراق الدنيا ، وجافة في بلاد البربر وسورية واعظم فرق كما أعلم . هو ما بين لهجة المغاربة في مراكش ولهجة الاعراب في مكة والحجاج ، ولكن هذا الفرق بين سينك اللهجتين لا يزيد على اختلاف لهجة فلاحي سواب (جنوبmania) عن لهجة فلاحي سكسونية (شمالmania) . (2)

وقد بين فيرايل ان اللغة الباريسية تقرب فيها نغمة القول من لغة الكتابة الى حد لا يمكن معه ادعا ، الا زدواج مثل ما هو في اللهجات الأخرى .

واذن فليس من الضروري أن يكون هناك ازدواج بكل معنى الكلمة ، كما ان وجوده لا يستدعي اهمال اللغة الفصحى واحلال العامية محلها ، لأن هذه لو حللت محلها لاستدعت في الغالب تكون لغة عامة فصحى وأخرى عامية .

على أنتا اذا نظرنا في الأغانى الشعبية وخاصة في الزجل نجد نوع افتراق بين لغة النظم وبين الكلام العادى الذى يخاطب به الناس ، الامر الذى يبين أن العقل متى تدخل في القول جده ورصفه وخرج به عن لغة الكلام العتاد .

وفيما يخص المسألة الثالثة ، نجد اوربا الان بعد أن قطعت مرحلة الوطنية الضيقة تشعر بحاجة إلى إعادة الوحدة الاوروبية لما كانت عليه في الماضي ، وهي تبحث فيما تبحث مسألة تكوين لغة موحدة يتعلّمها الابناء الاوربيون بجانب لغتهم القومية حتى يمكن التخاطب بها بين أبناء اوربا جميعاً ، وذلك ما قام به الروسيون في الاتحاد السوفياتي حيث جعلوا لغتهم الموحدة ل مختلف الترميمات السوفياتية . ولو انهم كانوا احتفظوا باللاتينية كما كانت عليه قبل عهد القوميات لرجلها

(1) فاندرير - اللسان ص 171.

(2) جوستاف لوبيون ، حضارة العرب ترجمة زعير ص 532 . ونقل ذلك كله الحاج ص 239 من فلسفة اللغة ،

ولكن التجربة الاستعمارية أكثر من ذلك ، إذ أنها أدت إلى انحطاط العربية والاكتفاء باللسان الاجنبي حتى وجد مثل الشرايين الذي كان يطالب بمماطلة الشعب بالفرنسية في المغرب وعديد من اللبنانيين الذين آثروا الكتابة بالفرنسية أو الانكليزية غير عابرين بين ينتقدون من أبناء وطنهم . ومثل محمد عكون الذي يطالب في اثناء الكفاح القومي في الجزائر بثلاثية لغوية في الشمال الأفريقي ، العربية والفرنسية واللاتينية ويأسى لتاريخنا الثقافي بزعمه . (2)

فتتحقق اللغة العربية ازاء لغة المستعمرين شئ، طبيعي ما دام كل وجوده النشاط الانساني مقصورا على اللغة الاجنبية وما دامت العربية تعامل معاملة الایتام في مذابة اللثام ، وذلك ما اعترف به ولیام مرسي في هذه الفقرة التي نقلها عنه مونطى في كتاب العربية المصرية، والتي يعبر بها عما يشعر به من حال المغرب العربي : انه ليس عمليا ولا منطقيا وقليلما يقع ، أن يبقى لسانا فذاكا كان المتزاحمان يملكان حرمة واحدة ويعبران عن شيء واحد بصلة محسوسة . ويعرب عنه جيدا الواحد والأخر ، فقد تساعد أسباب عاطفية على اطالة تضييع هذه النوى . أما اذا كانت احدى اللقتين لسان المحاكين ، وهو الذي يفتح الباب للدخول الى حظيرة حضارة عصرية كبيرة ، فمن الواضح أن تقترب التعبيرات المكتوبة مع التعبيرات المحكية للمفكر الى أقصى ما يمكن ، بينما يبقى الآخر لغة المحكومين يعبر في وسط كتابة عن مثالية من العصور الوسطى ، ويختلف حين يكتب عنه حين يعبر . فان وضع اللقتين يصبح حينئذ غير متساو . فيستطيع الاول ان يرجع الثاني (المحكم) وبيني على ذلك « جان ليسرف » ، ان تتحقق العربية ازا . لغة او أكثر من اللغات الاجنبية يعني تتحقق الفكرة الوطنية . وفكرة الوطن العربي تمثل بدون شك فكرة القوة بل أقوال فكرة شديدة ، ويترتب على ذلك أيضا تتحقق بالنسبة الى التقدم المعاصر للجماعة ، فيكون ذلك حلا ارستوغراتيا بكل معنى الكلمة لأن اللغات الاجنبية من

الربط التي تصل بين وحداتها وتكون هي غايتها . لا ادري كيف ينكر بعض العرب بعد ما شاهدوا هذه التجارب الاجنبية بالتخلي عن الفصحى وتكوين اللغة الاقليمية الخاصة ؟ مع أن المجهود الذي نبذله لتعزيز الفصحى وتوجيه التعليم بها أقل بكثير مما يتطلب خلق لغة جديدة من النها الى يائها ، ان كل ما يتطلبه منا الحال ، هو اصلاح في الاساليب وعدم شغل أطفالنا باللغة الاجنبية قبل أن يكتمل وعيهم بلغة الام .

### ثنائية اللغة

وهذا ما يدور بنا عردا على بنه . للحديث عن ثنائية اللغة ، او على التحقيق عن العناية التي نوليهما في كل مراحل تعليمينا لغة الاجنبية . ولست في حاجة الى تكرير ما قلته في صدر هذه المحاضرة من ضرورة احتكار الوقت في التعليم الابتدائي لغة العربية ، واعطاها القسط المعقول للغة او أكثر من اللغات الاجنبية في التعليم الثانوي او العالى ، مثلما هو الواقع في جميع البلدان الاجنبية . وان من يتتجول في الدول الراقية مثل انكلترا او امريكا وروسيا واسبانيا يشعر تماما بأن الاغلبية الساحقة في هذه الام لا تفك في اتقان غير اللغة الام ولا تشغله نفسها بغيرها ، بل انهما جيئا تفرض عليك أنت الذي تقدم لبلادها أن تخاطبها بلغتها ، أما نحن فاننا نعكس ذلك نعتبر ضعفا في ثقافتنا وفي وجودنا أن لا نعرف لغة المتحلين لنا . لقد عمل الاجنبي لذلك مدة طويلة اذ كان يقصر كل الوظائف على من يتقن هذه اللغة . أما اليوم فمن الخذلان أن نظل حيث وضعنا الاجنبي .

لقد لاحظ أحد خبراء التعليم اللبناني السيد تيصر نصر ان ثنائية اللغة تكون عند الطفل انحطاطا نفسيا . ويقول مونطى : الواقع ان المجهود الذي يطلبه اللسان الثاني ينقص جدا من استعداد الطفل العقلي الذي كاز يجب أن يقصر على دراسة اللسان الاول . ويقول لوزيره أحد علماء النفس الفرنسيين (ان نمو الطفل العقلي لا يتضاعف ، ولكن ينزل الى النصف ، وبما أنه غير قادر على التفرقة بين اللقتين ، يحفظ الاثنين دون أن يتخل بعقرية لغته الخاصة .

(1) تعرّيف كمال الحاج .

(2) انظر جريدة العمل التونسي بالفرنسية الصادرة في 6 يناير 1958 .

لا يجدون الآلة التي هي لغتهم الأصلية ، ولا تقوم الآلة المعرض إلا بما تقوم الأرجل الصناعية في النهوض بذات المشلول .

انتا ستقطل بدون ثقافة ما دمنا لا نتعلم ونتقف باللغة الام .

ومع العربية منصبة المثقفين انتجتكم كما كان أجدادنا الاولون .

لقد وسعت العربية كل هذه الكتب التي تمتليء بها خزانات الشرق والغرب ولقد كان المغاربة في مقدمة المؤلفين والكتابين . يوم لم تكن لغة درس وعلم غير لغة الضاد .

أما اليوم فانتا ذلك المجتمع غير المنتج ، لأننا مستعجمون وعواطفنا عربية .

### العلاج

ونعود إلى السؤال ما هو العلاج اذن ؟

لا شك أنه قبل كل شيء في المحافظة على الفصحى، ولكن ما هي الفصحى عند التدقيق ؟ يقول البعض ان الفصاححة لا تعنى الكلمة واصلها وتطورات استعمالها، وانما تعنى الجملة وموقعها من الاعراب اي حال اواخر الكلم . يقول كمال الحاج :

و على ضيوه هذا التعریف للفصحي المبني على النحو ... اي الاعراب ... تصبح كل كتمة قابلة لأن تصير فصيحة بشرط ان تدخل في جملة مفيدة ، هي عامة اذا استعملت في ترتيب يقوم على الكلمة ، وهي فصيحة اذا استعملت في ترتيب يقام على الجملة وارتبطت بسابقات لها وللاحقات بعدها تتشكل الوحدة الاعرابية او النحوية .. ان كلمة «صاج» في خاص مبناهما ليست عامة ولا فصحى ، هي عامة في «الصاج عالتار» وهي فصحى في «الصاج على النار» (4) ويقول بعد ذلك : لنفرض أن هذه المقاييس النحوية قد الغيت من لغة العرب أستطيع أن تصور مكنا بعد ذلك حدوث فيم للكلمات ؟ اللغة ليست حروفا بمعزل عن الألفاظ ولا الفاظا بمعزل عن الجمل ، ولا جملة بمعزل عن البيان . اللغة هي كل هذا دفعه .. فإذا قضينا على الروابط وعلى العوامل أي على المقاييس النحوية .. ماذا سيجيئ من

المستخرفات (لوكس) التي لا يستطيع الجمهور أن يؤذى منها ، (3) تلك شهادات قيمة من شخصيات فرنسية ذات تجربة استعمارية خطيرة .

اما تجربتنا نحن فهي أخطر من هذا . إنها ضعف في المقدرة القومية على الانتاج مطلقاً . ان من ينظر إلى حالة الثقافة في المغرب العربي يشعر بقدر النقص الذي يعانيه حملة الشهادات العليا في وطننا . فإذا استثنينا قلة يسيرة من الذين يتذمرون ويؤذنون بالفرنسية او الإسبانية وعددهم في تونس وإنجلترا والمغرب يعد على الأصابع ، وانتاجهم لا يتجاوز طوز المحاولات التي يشجعها الاستعمار ويغمر بها ، اذا استثنينا أولئك ماذا نجد ؟ فرعاً كاملاً في الانتاج ، مع أن عدد المثقفين العاملين للشهادات العالية من أرقى الجامعات في فرنسا وغيرها يعد بالآلاف ، ولو قارناهم بمثل عددهم من إلينا ، فرنسا ، لوجدنا الآخرين أكثر انتاجاً وأقوى تفوقاً في ميادين العمل والتنظيم . ولو قارناهم بينهم مثلهم في درجة الشهادات من أخواننا في مصر مثلاً ولكنهم درسوا في الابتدائي والمتوسط على الأقل باللغة العربية لوجدنا هؤلاء ينتجون أكثر من الأولين ، هذهحقيقة مرة نلمسها في مجتمعنا ، ولا يمكن أن نعلمه بصلة غير كون الإنسان لا يستطيع أن يملك زمام اللغة الأجنبية إلى الدرجة التي تملك عليه أفكاره وقلبه وحتى عقله الباطن . وهو يعيش في بيته أخرى غير بيته تلك اللغة ويحمل بآمال وأمثلة عليا غير التي تقدمها له تلك اللغة .

ان اللغة ليست وسيلة من وسائل التعبير ، ولكنها غاية .

لأن الكلمة ، هي مصدر الإلهام ، وهي اذا لم تخزج بالروح التي تصنعها . فلن تكون الاكلمة لا تحتوى لها وصدى لطلب أجوف يرن في الفضاء ثم يغيب في العدم المغض الذي ليس له ثبات .

واللغة الأجنبية تأخذ الإنسان ، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه نفسها فهو يظل مسؤولاً بيد من لا يرغب فيه ولا يسترج بوجوده . انه يظل في عالم المعددين الذين يائسون من نفسهم القرة على النهوض فلا تعينهم الآلة .

(3) موظفي ، العربية المعاصرة ص 87 .  
(4) كمال الحاج ، فلسفة اللغة ص 236 .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان في لغات العرب القديمة من لا يعرب ومن يختلف في تراكيبه وقواعده عن اللغة المصرية التي قدر لها البقاء . وقد امتازت اللغة الحميرية بعده فوارق منها عدم التزام الاعراب دائماً ، وقد حفظ لنا هذا المركب الحميري : (ليس من أمبر أنسجام في أمضر) أي (ليس من البر الصيام في السفر) . ومع ذلك اعتبرت الحميرية من المهرجات العربية الفصحي وان لم تكن من المشربية . وليس من السهل معرفة كامل الفوارق التي بين الحميرية والمشربية وفي ذلك يقول ابن خلدون في المقدمة : (ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بمثابة ما هو اللسان المضري مع لغة العرب لهذا العهد - وهي التي بدون اعراب فقد منها دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول وعواوينها بالتقدير والتأخير وبقرائين تدل على خصوصيات المقاديد - وتغيرت عند مصر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته وتشهد بذلك الانقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحمله القصوص على أنها لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المشربية وقوانينها ، كما يزعم بعضهم في اشتقاد الفيل في اللسان الحميري انه من الفول وكثير من اثنائه هذا وليس ذلك بصحيح . ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مصر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لعهدهما مع مصر ، الا ان العناية بلسان مصر من أجل الشريعة او القرآن والسنة حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء ، ولعلنا لو اعتبرنا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقررنا على حكماته نتفاوض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور أخرى موجودة فيه ف تكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مصر » ه

فهل كان ابن خلدون يريد الاستعاضة عن الفصحي بالعامية؟ كلاً، وإنما كان يريد العناية بالعامية واستقرارها، حالها فربما يكتشف فيها من قواعد العربية ما لا يفرض الاعراب على طريقة مصر، وما يتافق مع اللهجات العربية الأخرى. وطبعاً فإن ابن خلدون لا يقبل هذا إلا وهو يعطي الأهمية الأولى للكلمات العربية

اللغة ؟ لا شيء ، ندور اذ ذاك في ظلام بهيم . يقول  
الامام عبد القادر الجرجاني بقصد النحو ما يلى :  
ان الانفاظ مقلقة على معانها ، حتى يكون الاعراب  
هو الذى يفتحها ، وان الاغراض كامنة فيها ، حتى يكون  
هو المستخرج لها . وانه المعيار الذى لا يتبيّن نقاصان  
كلام وزجاجاته . حتى يعرض ، والقياس الذى لا يعرف  
صحيحة من سقىم ، حتى يرجع اليه ، ولا ينكر ذلك الا  
من ينكر حسه ، والا من غائب فى الحقائق نفسه .  
وإذا كان الامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به ،  
وزهد فيه ، ولم ير ان يستستقيه من مصبه ويأخذنه من  
معده ؟ (I)

لقد أخذ بعض الظرفاء من أصحابنا نفسه بالاستهزاء  
ببعض **الذين لا يسألون بالكلمات الصحيحة في**  
**استعمالهم من غيرها ونظم بيتابا غزليا قال فيه :**

«زدمتم ، على قلبي (بسبات) هجركم  
فكاد من «القصاص»، أن «يتطرّق»

فهل ستصبح «زدتم»، العامية فصحى بمفرد اعرابها والنطق بها (زدتم)؟ وكذلك «السباط» ما دام لم يقبل من اول الامر في اللغة . وكلمة «القصص» أى العزن ، والنطرطق . اى الانفلاق هل تدخل هي نفسها بمفرد هذا التراكيب في المعجم العربي ؟ الواقع ان الكلمة هي الاصل في اللغة في البد، كانت الكلمة ومنها جاءت الجملة ، ووقع الاصلاح ليبقى الكلام على وثيرة واحدة ، فكان النحو .

(1) العرجاني ، دلائل الاعجاز ص 26 ، القاهرة 1331 م .

بتنفيذ المقتراح الذي وضعه معهد التعرير المغربي ، وهو استقرار المفردات العامة واستخراج ما يتفق مع الفصحى ، وهذا يستوجب عملية فرعين .

الاولى – تهذيب النطق بالكلمات العامة التي ماتزال محفوظة بشكليها الفصيح فيما لو كتبت ، حتى يصبح استعمالها متقدماً مع الاستعمال الفصيح . وهذا موضوع ألل فيء او كتب عنه عديد من القدماء والمحدثين ، كالسيوطى ونعلب وابن قتيبة واليازجى وعبد القادر المغربي وغيرهم .

والثانية – رد العاشر إلى الأصل ، اي البحث عن الكلمات العامة وهل هي عربية انعرف فترد إلى أصلها العربى وتهذب وتشاع وذلك كقولنا ، بابتوا أصلها بابته بمعنى كان من حقه . وهى عربية فصيحة ، او هي جارية على أصل الاشتراق العربى وان لم يسمع استعمالها عند العرب وذلك كالمعروبى فى نوع من الشعر الفنائى يستعمل فى مراسلة المتحابين ، وهو نسبة للعروبة اي المرأة حسنة التغلب المحبة لزوجها . او هى كلمة دخلية ومن اى لغة دخلت ، فينظر فى أمر قبولها معرفة اذا كانت فى حاجة اليها كالتلفون ، او ترفض ويدعى الى استعمال ما هو عربى مكانها . وذلك كالبستيون للحصن المسكري . او هي من الموضوعات الشعبية لسميات حديثة فتوثر فى نظرنا على غيرها وذلك كقولهم المصار فى محل (الدمان) للسيارة ، وهي أفضى من الفرملة والفرامل الجوية مثلاً .

علال الفاسى

الصحيحة ، التي يجب النطق بها كما كان العرب الاولون ينطقون ، ولا يأس من التسامح فى الرفق على اواخر الكلمة ، او الایقا ، على ما يتفق مع استعمال بعض القبائل العربية فى أيام السليقة الاولى ، فبنسو تميم كانوا ينطقون بحرف المضارعة الاول للمتكلم مكسوراً فيقولون فى نجتنى ، مضارع اجتنى ، نجتنى يكسر النون الاولى ولن يغير فى فصاحة متكلم بالفصح أن يتبع طريقة من مثل هذه الطرق العربية .

والامر كما قال الشيخ عبد القادر المغربي : ان احياء اللغة الفصحى بيننا لا يمكن حصوله بمراعاة قواعد النحو فقط ولا بالتزايم حرکات الاعراب فى اواخر الكلمات التي نتكلم بها فى كلامنا الدارج ، فان هذا ليس باليسور ولا المستطاع للجمهور وانما المستطاع هو تطهير كلامنا من الكلمات العامية البذلة واستعمال كلمات فصيحة مكانها . فان هنا هو المستطاع وكذلك من المستطاع لنا ان ننطق بالكلمات الفصيحة على الشكل الذى كان ينطق به الفصحاء اى دون تحريف او تحويل فى حرکات الكلمة وسكناتها وتشديدها والخروج بها من قواعد الصرف وقوانين اللغة . (I)

والمل اذن هو فى المحافظة على اللغة الفصحى ، مع العمل على رفع مستوى العامية ليلاً يبقى هناك غير الفارق المعتمد فى اللغات الراقية بين لغة الكتابة والخطابة وبين لغة الحديث العادى .

ويلزم لذلك ، الى جانب المجهودات التي تتخذ لتوسيع الفصحى وتيسير أساليب تعليمها ، القيام

(I) عبد القادر المغربي ، عثرات اللسان فى اللغة ، من ٦ .